



الرواية والنقد ما بعد الكولونيالي عند محمد بوعزة
قراءة في كتابه "سرديات ثقافية من سياسات الهوية
إلى سياسات الاختلاف"

**The Postcolonial Narrative and Criticism in Mohamed
Bouazza: A Perusal of the Work 'Cultural Narratives
from Identity Politics to Politics of Difference'**

عائشة لعبادلية

جامعة عباس لغرور-خنشلة (الجزائر)، aicha.labadlia@univ-khenchela.dz

ملخص:

تعد النظرية ما بعد الكولونيالية من أهم النظريات الأدبية والنقدية التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة متزامنة مع ظهور النقد الثقافي، وبالتالي فهي تحمل طابعا ثقافيا وسياسيا كونها تبحث في علاقة الخطابات بالسلطة ودور الثقافة في تعزيز الهيمنة الاستعمارية والإمبريالية. تبلورت مع نهاية السبعينيات من القرن الماضي. وتهدف هذه النظرية إلى فضح الإيديولوجيا الغربية وتقويض مقولاتها المركزية والتخلص من الاستعمار الثقافي وكل ترسباته، بحيث تمكن من إعادة قراءة التاريخ من وجهة نظر المستعمر، ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على كل الثقافات التي تأثرت بالهيمنة الكولونيالية منذ لحظة الاستعمار إلى يومنا هذا. وانطلاقا من أهدافها الإنسانية التي تعنى بالحفاظ على مقومات الهوية؛ استطاعت هذه النظرية أن تتبوأ مكانة رفيعة في المشهد النقدي العربي واتخذت حيزا واسعا من الممارسات النقدية العربية، فاحتفى بها النقاد العرب وتبنوا أسسها ومقولاتها على الرغم من حداثةها. ولذلك تهدف هذه المداخلة إلى تحديد موقع النظرية ما بعد الكولونيالية في النقد الروائي "لمحمد بوعزة" وكيفية تلقيه لأسسها ومقولاتها في تحليل السرد الروائي. وتطرح هذه المداخلة عدة مساءلات أهمها: -ما مدى إفادة "محمد بوعزة" من تلقي النظرية ما بعد الكولونيالية

في ممارسته النقدية؟ وما مدى توفيقه في تبني مقولاتها وتوظيفها في السياق النقدي العربي للكشف عن الأنساق الثقافية في الخطابات الروائية ما بعد الكولونيالية؟
كلمات مفتاحية: الرواية، النقد ما بعد الكولونيالي. محمد بوعزة

Summary:

Postcolonial theory is one of the most important literary and critical theories that emerged in the postmodern era, coinciding with the rise of cultural criticism. As such, it carries a cultural and political character, as it examines the relationship between discourses and power, as well as the role of culture in reinforcing colonial and imperial hegemony. It crystallized by the end of the 1970s. This theory aims to expose Western ideology, undermine its central tenets, and eliminate cultural colonialism and its residues, enabling a re-reading of history from the perspective of the colonized. The term is used to denote all cultures affected by colonial hegemony from the moment of colonization to the present day. Based on its humanistic goals, which concern the preservation of identity components, this theory has managed to occupy a prominent place in the Arab critical scene and has taken a wide space in Arab critical practices. Arab critics have celebrated it and adopted its foundations and tenets, despite its modernity. Therefore, this paper aims to define the position of postcolonial theory in the novel criticism of Mohamed Bouazza and how he received its foundations and tenets in analyzing narrative discourse. This paper raises several questions, the most important of which are: To what extent has Mohamed Bouazza benefited from the reception of postcolonial theory in his critical practice? How effectively has he adopted and employed its tenets in the Arab critical context to reveal the cultural systems in postcolonial narrative discourses?

Keywords: novel, postcolonial criticism, Mohamed Bouazza

1. مقدمة :

تعد النظرية ما بعد الكولونيالية من أهم النظريات الأدبية والنقدية التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة متزامنة مع ظهور النقد الثقافي، وبالتالي فهي تحمل طابعا ثقافيا وسياسيا كونها تبحث في علاقة الخطابات بالسلطة ودور الثقافة في تعزيز الهيمنة الاستعمارية والإمبريالية. تبلورت مع نهاية السبعينيات من القرن الماضي، ولعل أبرز المثقفين الذين وضعوا إطارها النظري هو الأكاديمي الأمريكي من أصل فلسطيني إدوارد سعيد من خلال كتابه الاستشراق الصادر عام 1978، فضلا عن جهود "هومي ك بابا" و"غاياتري سبيفاك" و"فرانز فانون" وغيرهم من النقاد. وتهدف هذه النظرية إلى فضح الإيديولوجيا الغربية وتقويض مقولاتها المركزية والتخلص من الاستعمار الثقافي وكل ترسباته، بحيث

الرواية والنقد ما بعد الكولونيالي محمد بوعزة قراءة في حُجُبَة "سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف" _____ (المجلد الرابع عشر/ العدد الأول) مارس 2025

تمكن من إعادة قراءة التاريخ من وجهة نظر المستعمر، ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على كل الثقافات التي تأثرت بالهيمنة الكولونيالية منذ لحظة الاستعمار إلى يومنا هذا.

وانطلاقاً من الأهداف الإنسانية للنظرية ما بعد الكولونيالية في اهتمامها بالحفاظ على مقومات الهوية وإعادة كتابة التاريخ بعيداً عن الرؤية المركزية، استطاعت هذه النظرية أن تتبوأ مكانة رفيعة في المشهد النقدي العربي واتخذت حيزاً واسعاً من الممارسات النقدية العربي، فاحتفى بها النقاد العرب على الرغم من حداثة انطلاقتها من توجهات معرفية وفكرية مختلفة، إذ تمثل عملية الاستقبال لأي منظومة أو نظرية نقدية لعدد من المتغيرات وفقاً لرؤية الباحث المنهجية، ومن الضروري أن تخضع لاعتبارات الانتقاء والغلبة لتشكيل رؤية تؤطر عملية المقاربة لاسيما خطاب ما بعد الكولونيالية بتعدد مستوياته حيث يفتح على علوم وتيارات ونظريات مختلفة حتى في المجال الأدبي نفسه، إذ يمكن أن يتضمن نصوصاً ما بعد استعمارية أو نصوص المستعمر أو المستعمِر، وتبعاً لهذه التصورات المختلفة نتج خطاب نقدي "يقوم على منهجية البحث في النصوص التي تمثل الاستعمار فاعلاً، بينما هناك اتجاهات نقدية ترى أن الدراسة يجب أن تنصب على النصوص المنتجة من قبل الشعوب التي كانت خاضعة للاستعمار، أي مفعولاً، وهناك من يرضي أن يضعها في سلة واحدة، تحت مسمى واحد، ونعني خطاب ما بعد الكولونيالية: نظرية أدبية ومدرسة نقدية".¹ وبالتالي فإن انفتاح خطاب ما بعد الكولونيالية على علوم مختلفة كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم قد استفاد منها في تدعيم تصوراتهِ لإنتاج قراءة النص وتأويله وفق تصورات منهجية مختلفة باختلاف المرجعيات وتعددتها.

ولذلك تهدف هذه المداخلة إلى تحديد موقع النظرية ما بعد الكولونيالية في النقد الروائي "لمحمد بوعزة" وكيفية تلقيه لمقولاتها في تحليل السرد الروائي. وتطرح هذه المداخلة عدة مسائلات أهمها:

- ما مدى إفادة محمد بوعزة من النظرية ما بعد الكولونيالية في ممارسته النقدية؟
- ما هي الآليات التي استخدمها الناقد في تحليل السرد الروائي واكتناه أبعاده؟
- وما مدى توفيقه في تبني مقولات النظرية ما بعد الكولونيالية وتوظيفها في السياق النقدي العربي؟

-وهل تمت عملية التلقي بالاستحضار النقدي الواعي بحدود النظرية؟

2. المنطلقات المعرفية والرؤية المنهجية:

أصدر الناقد المغربي "محمد بوعزة" كتابه الموسوم بـ "سرديات ثقافية"، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف سنة 2014 عن منشورات الاختلاف ومنشورات ضفاف، يتضمن الكتاب مدخلا نظريا وسمه بالسرديات الثقافية من البويطيقا إلى ما بعد الكولونيالية، ثم قدّم أربعة مباحث تطبيقية حول السرد والسلطة والسرد والآخر والسرد والقوة والسرد والهوية، ويبدو جليا من خلال بيبليوغرافيا الكتاب استناده إلى مجموعة من مراجع الدراسات ما بعد الكولونيالية والتي شكلت الأساس المعرفي للناقد بدءا برائد الدراسات ما بعد الكولونيالية "إدوارد سعيد" من خلال مؤلفاته الثقافة والإمبريالية، وتأمّلات حول المنفى فضلا عن "بيل أشكروفت" (Bill Ashcroft) وآخرون في مؤلفهم دراسات ما بعد الكولونيالية، والرد بالكتابة، وموقع الثقافة لهومي كـ بابا كما اعتمد الناقد على رواد الدراسات الثقافية مثل "جيل دولوز" (Gilles Deleuze) في كتابه المعرفة والسلطة. ونظام الخطاب "ميشال فوكو" (Michel Foucault). شكلت هذه المؤلفات مرجعية معرفية بالنسبة للناقد، وهي نفسها التي رسمت تصوره المنهجي منذ عنوان الكتاب الرئيس والثانوي بعدّهما خطابا موازيا للمتن، فقدّمه بمصطلح نقدي جديد يتسم بالتجاوز في حقل السرديات ما بعد الحداثيّة، ليندرج ضمن الاهتمام بالمرجعيات الثقافية للسرد الروائي الذي ارتبط في كل مبحث بنسق ثقافي.

أعاد الناقد مفهوم السرد بما يتجاوز التحديد البنيوي الذي ينحصر في مستوى الوصف اللساني، فانبثقت رؤيته المنهجية من "تصور ثقافي لا يختزل مفهوم السرد في الوظيفة الأدبية كما تبلوت في البويطيقا بل يستدعي مرجعيات الدراسات ما بعد الكولونيالية، التي ترى في السرد شرطا ضروريا للمعنى والمعرفة، معرفة الذات والعالم، وتتم عملية البنية التي تتمثل في الصياغة التخيلية للذات والعالم في تشكيل عالم متخيل تحاك ضمنه استراتيجيات التمثيل، بهذا المعنى الثقافي المعرفي يستمد السرد قوته التمثيلية من تنازع الاستراتيجيات في تجاذبات التخيل والقوة".² وقد تأتى هذا التجاوز في الرؤية المنهجية من المنطلقات المعرفية للناقد استجابة للتطور الحاصل في منجزات السردية الغربية وما شهدته الرواية العربية المعاصرة من انفتاح على القضايا الراهنة التي تشغل الذات في علاقتها بالآخر على جميع المستويات، وقدرتها الفعالة على تمثيل المرجعيات

الرواية والنقد ما بعد الكولونيالي محمد بوعزة قراءة في كتابه "سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف" _____ (المجلد الرابع عشر/ العدد الأول/ مارس 2025)

الثقافية والتاريخية والاجتماعية، مما يتيح للدارس مقارنة النص الروائي وفقا لرؤى منهجية بديلة.

قدّم "محمد بوعزة" مشروعه في السرديات الثقافية نتيجة لما لاحظته من قصور في بعض الدراسات الشكلية والبنوية سواء في الغرب (فرنسا خاصة)، أو في العالم العربي. ولتوضيح مشروعه النقدي يرصد الناقد في مدخل كتابه مسار الدراسات السردية، منذ ظهورها في فرنسا، موضحا مساوئها في قراءة النص لاعتمادها على النموذج اللساني البنيوي والتزامها بالنسق المغلق الذي اختزل النصوص في بنيات وصفية لغوية واعتبرها بنية مغلقة، وشبكة من العلاقات المرتبطة بمستويات نصية داخلية. وقد كان من تداعيات ذلك تقليص دينامية النص وتقسيم العمل الأدبي إلى قصة وخطاب والتحيز إلى هذا الأخير كما ورد في بعض التطبيقات العربية من تكريس لمعيار التفاضل يتحيز لجمالية الخطاب ويجرد القصة من ذلك وأشار الناقد إلى سعيد يقطين الذي يصر على الفصل بين الخطاب والقصة ويرتبط ذلك بالاختيارات المنهجية للباحث انطلاقا من مرجعيته ورؤيته ويرى "محمد بوعزة" أن الباحث بفصله بين الخطاب والقصة يسقط في ثنائية اللفظ والمعنى في البلاغة القديمة لأنه يربط الخطاب بمستوى التعبير، أي المستوى الجمالي في حين يربط القصة بمستوى المعنى.³ فالتحيز للخطاب على حساب القصة حسب محمد بوعزة يجعل من القصة معطى غير خطابي وغير نصي.

لذلك سعى الناقد "محمد بوعزة" في مدخل هذه الدراسة كخطوة أولى إلى توسيع مفهوم السرد كونه أكثر من مجرد مظهر لفظي للخطاب "إن ما يحدد طبيعة السرد هو وظيفته عبر اللسانية فهو من حيث الجينالوجيا عبر تاريخي يمتد أفقيا في الماضي وفي كل الأشكال القديمة في الأسطورة والملحمة والتاريخ والمرويات الشعبية الشفاهية والمدونة، وهو من حيث الأنثروبولوجيا عبر ثقافي. يمتد عموديا في كل الثقافات والمجتمعات والجماعات"⁴ وبالتالي يسعى الناقد إلى تقديم تصور معرفي يدرج السرد ضمن أنساق الثقافة والمتخيل وتمثيل التاريخ والذات والعالم.

قدم الناقد تصوره للسرديات الثقافية كبديل منهجي عن السرديات البنيوية انطلاقا من مراجعة مسارها المعرفي من جهة وفهم السياقات الجديدة المعرفية والتاريخية للنظرية ما بعد الكولونيالية من جهة ثانية، وبالتالي تحديد الممارسة النقدية البديلة المناسبة للقراءة

والتأويل، جاء ذلك في سياق إعادة قراءة وتفكيك الأسس المركزية للبنوية وبالتالي "إعادة النظر في الخلفيات المعرفية المؤسسة للنظرية السردية ففي مقابل اتساع طبيعة السرد التعبيرية والثقافية والرمزية اختزلت السرديات طبيعة السرد في بنيته الشكلانية. ومن جهة أخرى وبسبب ارتباطها إلى النموذج البنيوي انتهت السرديات إلى تقليص دينامية النص في المستوى اللغوي بحيث ستختزل هوية السرد إلى مجرد وحدة لسانية صغرى هي الجملة النحوية، تخضع للوصف اللساني وبذلك ستضحي بمرجعيات السرد الدلالية والرمزية التي تستدعي ربط السرد بنماذج أخرى أكثر شمولية، تداولية وثقافية وتأويلية.⁵ وبالتالي فهذه الممارسة الاختزالية لواقع السرديات دفعت بالنظرية الثقافية إلى تجاوز السرديات البنوية إلى السرديات الثقافية باعتبار السرد يتجاوز طبيعته اللسانية اللفظية إلى عالم رمزي تخيلي يخاطب الذات والعالم تندرج ضمنه أنساق الثقافة واستراتيجيات التمثيل.

وبهذا أسس الناقد "محمد بوعزة" تصوره المنهجي البديل في سياق انتقال المقاربات السردية من نطاق الجملة إلى نطاق الخطاب، وبالتالي سيتحقق انفتاح النظرية السردية على تحليل الخطاب وعلى الشعريات الثقافية والدراسات النسوية والنظرية ما بعد الكولونيالية. وقد تشكل هذا الطرح المنهجي البديل لدى الناقد من خلال الاستناد إلى المنطلقات الابستمولوجية والفكرية لرائد الدراسات ما بعد الكولونيالية إدوارد سعيد، فعند الأسس النظري والمنهجي الذي شكل التصور البديل للسرديات، وذلك من خلال كتابه الثقافة والإمبريالية، إذ يقدم "محمد بوعزة" قراءة عامة لهذا الكتاب في جانبه النظري والتطبيقي الذي يستنطق فيه إدوارد سعيد مضمّنات الخطاب الكولونيالي في تورطه مع الإمبريالية والذي ساهم في تعزيزها واستمرار هيمنتها الثقافية حتى بعد تحرر الشعوب المستعمرة من الاستعمار العسكري، مبتكرا ما أطلق عليه بالقراءة الطباقية في تفكيكه للسرد الغربي الذي لم يستطع كبت الرؤى النمطية الجامدة والمغلقة التي تموضع الآخر في حيز الهامشي والتابع. فضلا عن استناده إلى رائد الشعرية "تودوروف" الذي وجّه اهتمامه - بعد اطلاعه على أعمال إدوارد سعيد- إلى قضايا التمثيل والغيرية الثقافية وصور الآخر في كتابه "فتح أمريكا" الذي تناول فيه وظيفة وقوة الكتابة في الوضع الكولونيالي.

ينتقل "محمد بوعزة" من قراءة السرد الإمبراطوري لدى "إدوارد سعيد" إلى قراءة استراتيجية الخطاب النقيض في كتاب الرد بالكتابة "لبيل أشكروفت" وآخرون مستحضرا المصطلح من ريتشارد تيرديمان "الذي صاغه ليصف نظرية المقاومة الرمزية وتطبيقها

الرواية والنقد ما بعد الكولونيالي محمد محمد بوعزة قراءة في حكاية "سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف" _____ (المجلد الرابع عشر/ العدد الأول) مارس 2025

وينطلق من فكرة توظيف اللغة في الممارسة والاستخدام بما يجعل الخطاب أفقا للتنافس وبالتالي تظهر الخطابات إلى الوجود في بنية من الممارسات الاستطردادية المضادة. " 6 إن استراتيجية الخطاب النقيض انطلاقا من مفهومه السابق لدى "ريتشارد تيرديمان" هي نفسها الإستراتيجية الثانية من القراءة الطباقية الإدواردية إذ تتمم وجهة نظر المستعمر لتكشف عن الحضور الإمبريالي في الروايات الغربية وذلك بقراءتها بوعي متزامن لكل من تاريخ الاستعمار وتاريخ الدول المستعمرة حتى نحصل على معنى يختلف عن ذلك الظاهر في النص.

وبذلك تقتضي قراءة السرد الغربي المتواطئ مع الإمبراطورية على نحو طباق تفكيك آليات الهيمنة في الخطاب الثقافي للإمبريالية من جهة، وقراءة الجانب الآخر المضاد أو الطباق والمتمثل في المقاومة الثقافية للإمبريالية؛ " بمعنى دور الثقافة في تكوين الاستعمار الإمبريالي ودورها في عملية دحره ومقاومته في الآن ذاته " 7. لذلك يمكن القول إن الناقد على الرغم من وعيه بحدود المفاهيم إلا أنه وقع في إشكالية تعدد المصطلح فقد استخدم مصطلحات أخرى تتضمن المفهوم ذاته وهي السرد المضاد، السرد التابع، السرد الانتهاكي، السرد الانبثاقي، السرد التفكيكي، سردا مزودوجا وطباقيا وكل تلك المصطلحات تندرج ضمن مفهوم ثقافة المقاومة أو الرد بالكتابة على الثقافة الإمبريالية حيث " ظلت قضية الإمبراطورية مطروحة لدى مجتمعات ما بعد الكولونيالية على الرغم من تحررها وحصولها على استقلالها السياسي، ذلك أنّ الشعوب التي كانت خاضعة للإمبراطورية كانت في حاجة للردّ بالكتابة على المركز الإمبراطوري بعد تفكيك قوته سياسيا " 8. ومن هذا المنطلق تستدعي الكتابة ما بعد الكولونيالية استخدام السرديات والرواية خاصة بعدها حمولة ثقافية يمكن توجيهها بشكل مضاد ومقاوم للتبعية التي فرضها الاستعمار تأكيدا على استرجاع ما تم إقصاؤه واستبعاده. لذلك فالرواية لم تكن لتعكس التواطؤ مع الإيديولوجيات المسيطرة فحسب، ولكنها من منظور طباق تعمل بشكل مضاد للهيمنة المركزية وهو ما أطلق عليه إ"دوارد سعيد" بمصطلح القراءة الطباقية لأنها تستدعي قراءة السرد الإمبراطوري وروايات المقاومة في آن واحد لإعادة الاعتبار إلى ما تم إقصاؤه أو تهميشه. لذلك فتعددية المصطلح من شأنها أن تنتج اضطرابا وتشويشا في تلقي المفهوم. إذ

كان يفترض على الناقد أن يكتفي بمصطلح واحد كالسرد الطنقي كونه تبنى رؤية إدوارد سعيد نظريا ومنهجيا.

كما أورد الناقد مصطلح السلطة والقوة في بحثين مختلفين؛ تضمن المبحث الأول السرد والسلطة ووسم المبحث الثالث بالسرد والقوة ولا اختلاف من حيث المفهوم بين السلطة والقوة غير هذا التعدد الاصطلاحي فالسلطة أو القوة من أهم مقولات النظرية ما بعد الكولونيالية كما هي عند إدوارد سعيد الذي يدين لتنظيرات "ميشال فوكو" خاصة ما تعلق بعلاقة الخطاب بالسلطة والمعرفة، وقد استمد فوكو هذه الصيغة من الفيلسوف الألماني "نيتشه" (Nietzsche) فيما سَمَّاهُ بِإِرَادَةِ الْقُوَّةِ "ذلك أَنَّ كُلَّ غَرِيزَةٍ تَطْمَحُ إِلَى السَّيْطَرَةِ وتُحَاوِلُ بِمَا فِي ذَلِكَ أَنْ تُتَفَلَّسَفَ (...) إذ قد يوجد عندهم فعلا نوع من غريزة معرفة".⁹ وبالتالي ينتج عن كل معرفة بالضرورة قوة وينتج عن القوة سلطة لأن غريزة المعرفة تؤدي دوما إلى غريزة التملك حسب رؤية "نيتشه". لذلك ارتبط الخطاب عند "ميشال فوكو" و"إدوارد سعيد" بأشكال الصراع من أجل السلطة.

3. الأهداف:

أولت السرديات العربية في مرحلة تطورها وازدهارها-خلال العقد الأخير من القرن العشرين-اهتماما كبيرا بالمكونين الوصفي والسرد في قراءتها للنص الروائي، متأثرة في ذلك بالموجهات التي كانت تحكم الدراسات السردية خلال الستينيات في أوروبا وفرنسا على وجه التحديد. "فنحت السرديات منى وصفيا علميا، تقصدت من خلاله الإمساك بما اعتبرته قوانين ناظمة للنص السردى بغض النظر عن اختلافه الذي تكفله الثقافة التي ينهل من رموزها وأنساقها وخطاباتها وكذلك خصوصيته الجمالية".¹⁰ وفي محاولة لتجاوز المنجز البنيوي السردى، والإفادة من توجهات ما بعد البنيوية، انفتحت السرديات الغربية على أفق جديد يخرج عن حدود النسق المغلق إلى الأنساق الخارجية المنفتحة على الثقافي والسياسي والأيدولوجي وغيرها، مما تضمنه الخطابات السردية.

وانطلاقا من هذه السياقات الغربية وضع الناقد "محمد بوعزة" مقدمة منهجية لكتابته حدد فيه أهدافه في إطار صياغة تصور للسرديات الثقافية من خلال تجاوز الأفق البنيوي للسرديات أو بالأحرى توسيعه لينفتح على الأسئلة المعرفية والمرجعيات الثقافية لطبيعة السرد، وذلك في إطار اهتمامه "بصياغة تصور للسرديات الثقافية لا يلغي المنجز النظري للسرديات البنيوية (...). ولكن يعيد تكييفها في أفق ثقافي، يتجاوز مستوى الوصف

الرواية والنقد ما بعد الكولونيالي محمد بوعزة قراءة في كتابه "سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف" _____ (المجلد الرابع عشر/ العدد الأول/ مارس 2025)

البنوي نحو عملية التأويل، وذلك بالبحث في المرجعيات الثقافية المحددة لدينامية السرد وقوته الرمزية في تشفير العالم واستنطاق سياسات التمثيل ¹¹. وبالتالي يحدد الناقد "محمد بوعزة" أهدافه منذ مقدمة كتابه مؤكدا رغبته في تجاوز طروحات السردية البنيوية، مقترحا سردية تهتم بقراءة السرد الروائي قراءة ثقافية، وتتجنب اختزاله في نسق أو نموذج مغلق. واقتصر دراسته على جنس الرواية العربية، فوزع المتن المدروس على مباحث ترتبط ارتباطا وثيقا بالقضايا الجوهرية في الرواية العربية ما بعد الكولونيالية.

4. الممارسة النقدية:

قدم "محمد بوعزة" قراءات تطبيقية لنصوص روائية عربية ركزت على تحليل أنماط السرديات البديلة (سرديات ما بعد الاستعمار) التي تطرحها النصوص الروائية في استراتيجياتها الخطابية والسردية وتفكيك خطاب السلطة وأشكال التهميش والقهر، مستفيدا من مقولات النظرية ما بعد الكولونيالية وذلك في عدة روايات كرواية "دمية النار" لبشير مفتي، "الساحة الشرفية" "لعبد القادر الشاوي"، و"كهوف هيدراهوداهوس" "لسليم بركات". ففي هذه النماذج الروائية "يقع السرد في صميم النزاع على استعمالات الماضي من أجل تسويق الشرعية (استراتيجية السلطة) أو نزع الشرعية (استراتيجية المقموع). تتم هذه الاستراتيجية في رواية "دمية النار" بإعادة كتابة قصص الثورة، وإحياء الروايات المنسية لضحايا السلطة المعارضين للقمع، وإسماع الأصوات البديلة، وفي رواية "الساحة الشرفية" بتضمين رسائل ويوميات المعتقلين السياسيين التي تخترق سرد السلطة، وتفككه كاشفة مزاعمه في نبذة ساخرة تهكمية ¹².

كما خصص مبحثا للرواية الحضارية للكشف عن سياسات الغيرية والآخرية من خلال ما يجسده الخطاب السردى من انزياح عن سلطة النسق الحضاري وذلك بالعودة المعكوسة من الشمال إلى الجنوب كما في رواية "مصايح مطفاة" "لأحمد الكبير" مما يترتب عنه تحول في سياسات التمثيل من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف. في حين تنتهك رواية "روائح ماري كلير" "للحبيب السالمي" النسق الفحولي القائم على علاقات الهيمنة الكولونيالية الذكورية لتقدم منظورا ثقافيا قائما على أنسنة العلاقات بين الرجل والمرأة خارج النسق الكولونيالي وسياسات الجنس القائمة على علاقات القوة ¹³.

وفي مبحث السرد والقوة يكشف "محمد بوعزة" عن السرد المضاد أو الرد بالكتابة على السلطة والآخر الكولونيالي في روايتي "ترانيم البردي القديم" "لآمال النخيلي" ورواية "أيلان أو ليل الحكيم" "لإدمون عمران المليح" مستفيدا من الأطروحة ما بعد الكولونيالية القائمة على ضرورة امتلاك المعرفة التي تقود الأصلائي إلى اكتساب قوة المقاومة والتحرر من هيمنة الآخر والخروج عن حالة الصمت التي تفرضها السلطة. كما يستنطق الباحث أسئلة الهوية في السرد السيرذاتي كرواية "ثلاث وجوه لبغداد" "لغالب هاليسا".*

أفاد "محمد بوعزة" في رؤيته المنهجية لتفكيك النصوص السردية وتأويلها من مقولات النقد الثقافي والنظرية ما بعد كولونيالية، إذ يقترب في ممارسته النقدية - كما يقر في نهاية المقدمة - من النماذج النقدية العربية ذات المرجعيات الثقافية كأعمال "عبد الله الغدامي" و"معجب الزهراني" "عبد الله إبراهيم" و"نادر كاظم" و"يحيى بن الوليد" و"ماري تيريز عبد المسيح" و"إدريس الخضراوي" وغيرهم.

وقد تبين لنا من خلال استعراض الجانب التطبيقي أن جزءا منعملية التأويل التي لجأ إليها الناقد لها علاقة بالتصور المنهجي الذي طرحه في مدخل هذه الدراسة في تبنيه لمقولات النظرية ما بعد الكولونيالية، أما عملية التأويل في مبحث السرد والآخر استدعت مقارنة نص "روائع ماري كلير" للروائي "الحبيب السالمي" من منظور ما بعد كولونيالي وقد تم استدعاء مقولات النقد الثقافي والنقد النسوي بمقولاته الجندرية، في حين لم يشر إلى ذلك في مدخله النظري وحصر معظم الدراسة التطبيقية في استدعاء مقولات النظرية ما بعد الكولونيالية على الرغم من دعوته للانفتاح على المرجعيات الثقافية للتمثيل السردية ودعوته إلى سرديات ثقافية التي تفتح بالضرورة على مقولات النقد الثقافي وعلى التفكيك، فضلا عن توسلها بالنقد النسوي والمنهج السوسيويثقافي والتاريخانية الجديدة بحكم أن تصوره المنهجي البديل لا يلغي الجانب الجمالي. كما أن المنظور ما بعد الكولونيالي يستدعي قراءة الأنساق الثقافية المرتبطة بالعملية الاستعمارية وعلاقة الخطاب الكولونيالي بنسق الهيمنة والسلطة والهوية كما هو عند "فوكو" و"ديريدا" (J. Derrida).

اعتمد الناقد على التفكيك والتأويل في قراءة المتن المدروس كتفكيك استراتيجيات التمثيل إذ تعدّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على المساءلات التي يهتم بها التحليل الثقافي نظرا لاستيعابها تفاصيل الواقع بكل حيثياته انطلاقا من تفاعل خطاباتها وتشابك تمثيلاتها الثقافية،" فالتمثيل فعل ترميزي يعكس الواقع إلا أنه بالنسبة للدراسات

الرواية والنقد ما بعد الكولونيالية محمد محمد بوعزة قراءة في حكاية "سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف" _____ (المجلد الرابع عشر/ العدد الأول/ مارس 2025)

الثقافية، لا يعدّ مجرد انعكاس في شكل رمزي لأشياء الواقع، بل التمثيلات مؤسسة لمعنى تدعي أنه بديل، بمعنى أن التمثيلات لا تنطوي على مطابقة بين العلامات والأشياء بل تنشئ أثرا تمثيلا للواقع (...) التمثيلات ليست انعكاسات محايدة في نقلها للواقع بل هي إنشاءات ثقافية تخالف ما قد يبدو لنا، وهنا ترتبط التمثيلات بشكل جوهري بمسألة السلطة من خلال عملية الانتقاء والتنظيم والتي يجب أن تكون حتما جزءا من تشكيل التمثيلات¹⁴. فعلمية التمثيل تعطي للممارسات الثقافية والاجتماعية المرتبطة بسلطة ما معنى بديلا ومختلفا يتجاوز الرؤية الرمزية للواقع. كما اعتمد على تفكيك آليات السلطة والقوة والهوية بعدها من أهم الأنساق الثقافية التي تمثلها الرواية ما بعد الكولونيالية.

وبالتالي فقد تبني الناقد أهم مقولات النظرية ما بعد الكولونيالية واستثمرها في تحليل المتن السردى على الرغم من الهوية بين المدخل النظري والجانب التطبيقي والتي تشكلت نتيجة عدم رسم تصور شامل لرؤيته المنهجية منذ البداية. كما أن حرص الناقد الدقيق على تطبيق الأسس المنهجية المتبعة إلى جانب الرغبة في تحقيق الهدف من الدراسة من خلال الجانب التطبيقي هو الذي أنتج هذا المشروع النقدي المبني على التجاوز في النقد الروائي في محاولة لتأسيس سرديات ثقافية عربية تأخذ بعين الاعتبار التحولات التاريخية الكبرى انطلاقا من سياقات الرواية العربية ومرجعياتها الثقافية والتاريخية والسياسية وذلك من منطلق مواكبة الحركة النقدية للحركة الإبداعية.

5. خاتمة:

تشكلت المنطلقات المعرفية للناقد محمد بوعزة انطلاقا من اعتماده على دراسات ما بعد الكولونيالية كما هي عند روادها إدوارد سعيد وبيل أشكروفت وهومي ك بابا فضلا عن الدراسات الثقافية كجيل دولوز وميشال فوكو حيث رسمت هذه الأسس المعرفية إطاره النظري وطرحه المنهجي البديل القائم على تجاوز السرديات البنيوية إلى سرديات ثقافية تنفتح على المرجعيات الثقافية في محاولة منه لتوسيع مفهوم السرد ليندرج ضمن أنساق الثقافة والتمثيل والتاريخ والذات والعالم..، فانبثقت رؤيته المنهجية منتصوفا ثقافي لا يختزل مفهوم السرد في الوظيفة الأدبية كما تبلوت في البويطيقا بل يستدعي مرجعيات الدراسات ما بعد الكولونيالية، التي ترى في السرد شرطا ضروريا للمعنى والمعرفة، معرفة الذات والعالم.

- وظف الناقد مصطلح السرد الإمبراطوري في قراءة كتاب "الثقافة والإمبريالية" لإدوارد سعيد بينما يستدعي مصطلحا بالمفهوم نفسه من "ريشارد تيرديمان" وهو "الخطاب النقيض" لقراءة كتاب الرد بالكتابة. فقد اعتمد الناقد على مقولات النظرية ما بعد الكولونيالية كما هي عند إدوارد سعيد نظريا في حين يستحضر في الجانب التطبيقي من الدراسة مقولة الخطاب المضاد لريتشارد... "مما جعله يقع في إشكالية تعدد المصطلحات لمفهوم واحد تجلى ذلك في استخدامه لعدة مصطلحات أخرى بنفس المفهوم ومنها مصطلح السرد المضاد، والسرد التابع، السرد الانتهاكي، السرد الانبثاقي، السرد التفكيكي، سردا مزودوجا وطباقيا وكلها تندرج ضمن ما يسمى عند إدوارد سعيد بالسرد الطباقي أو ثقافة المقاومة أو ما يسمى عند بيل أشكروفت بالرد بالكتابة. وكان يفترض أن يكتفي بمصطلح واحد حتى لا يقع في اضطراب المصطلح وتشويش فكر القارئ

- أدى استدعاء الناقد لعدة مصطلحات ذات المفهوم الواحد إلى الوقوع في إشكالية أخرى وهو استدعاء مصطلحات بالمفهوم نفسه في مبحثين منفصلين كمبحث السرد والقوة ومبحث السرد والسلطة إذ الأصل في السلطة أن تتضمن معنى القوة والعكس كما هي عند رواد ما بعد الحداثة والدراسات الثقافية من نيتشه. إلى إدوارد سعيد إلى ميشال فوكو.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- رامي أبو شهاب: الرئيس والمختلة، خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر، النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2013، ص:125.
- 2- محمد بوعزة سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص:16.
- 3- محمد بوعزة سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف. ص:30.
- 4- المرجع نفسه، ص:34.
- 5- المرجع نفسه، ص:33.
- 6- المرجع نفسه، ص:53.
- 7- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبوديب، دار الآداب، بيروت، ط3، 2004، ص:118.
- 8- بيل أشكروفت وآخرون: الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ترجمة: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص:24.
- 9- فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، تبشير فلسفة للمستقبل، ترجمة: جيزيلا فالور حج،

**الرواية والنقد ما بعد الكولونيالي محمد بوعزة سرديات ثقافية من
سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف " _____ (المجلد الرابع عشر / العدد الأول / مارس 2025)**

- دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2003. ص: 28.
- 10- إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012. ص: 19.
- 11 - محمد بوعزة: سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف. ص: 15.
- 12- المرجع نفسه: ص: 18.
- 13- ينظر: المرجع نفسه: ص: 20.
- *- للتوسع ينظر: المرجع نفسه: المبحث الثالث والرابع. ص: 139- 171.
- 14- كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: جمال بلقاسم. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018، ص: 131.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.
2. إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبوديب، دار الآداب، بيروت، ط3، 2004.
3. بيل أشكروفت وآخرون: الردّ بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ترجمة: شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
4. رامي أبو شهاب: الرئيس والمختلة، خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر، النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2013.
5. فريدريش نيتشه: ما وراء الخير والشر، تبشير فلسفة للمستقبل، ترجمة: جيزيلا فالور حج، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
6. كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: جمال بلقاسم. رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018.
7. محمد بوعزة سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.